جولة مع المجموعة القصصية «ثورة الندم»

للقصاص محمد السيد

ضمن السلسلة القصصية التي تصدرها مكتبة «دار الفرقان» في عمّان نُشرت مجموعتان قصصيتان، للكاتب القاص محمد السيد، وهما «ثورة الندم» و«شاطىء الرؤى الخضر».

وشيء طيب أن تعمد إحدى المكتبات إلى نشر القصص الهادف، الذي يتفق مع التصور الإسلامي في الحياة، ليشتد ساعد الأدباء الإسلاميين وتقوى مسيرة الأدب الإسلامي المعاصر.

والمجموعة القصصية «ثورة الندم» تحتوي على ست عشرة قصة قصيرة، وهي تقع في (٢٣٦) صفحة من الحجم الصغير. وسأستعرض هذه القصص جميعاً، لنبين بعض الملاحظات التي تميزت بها.

١ـ **القصة الأولى «هوامش على متن الهواء»**: في هذه القصة يحوّل الكاتب الواقع إلى صورة رمزية، تختلط فيها المأساة بالسخرية، ليعبر عن الواقع الدامي المؤلم، والحياة الساخرة: فهي أنياب، ومخالب، ودماء، ونتن.

ويختار لقطات موحية ليعبر فيها عن الواقع، ويضعها في صورة «حكاية» يقصها على الناس.

وكما كان «الحكواتي» يروي للسُمّار عن المغامرات الخيالية، ليقتل عندهم السأم، ويملأ الفراغ، كذلك يروي هنا الراوي قصة الواقع المأساوي «حاضر الزمان وواقع العصر» التي تبلغ من غرابتها ما بلغته المغامرات الخيالية، دون أن يتدخل في الأحداث، بل يتركها لتنطق بواقع المأساة، وغرابة هذا العصر.

وفي هذه الحكايات يبرز دور السلطان، ودور السامعين المتفرجين، ودور الحاشية «الإمّعة» ودور الغرباء المقهورين، وسط هذا الحشد المتناقض. ويحرص الكاتب على

اقتباس عناوين الصحف، ومصطلحات الحكام الجديدة وصوراً نراها مبتذلة في حياتنا المعاصرة في كل مكان.

فالقصة تصور واقع بلادنا، مهما اختلفت الأسماء والألسن والألوان. والقصة مزيج من أسلوب السرد المباشر، والتصوير الموحي، وأحياناً البوح النفسي الذي جاء به عن طريق الهوامش التي تعقب الأحداث، والإطار الزمني مناسب جداً، لأن الخريف يوحي بالذبول والاصفرار والعري والسقوط:

الدنيا فيه عارية، والأشجار واضحة المعالم، مفضوحة أمام الشمس ولكن الحياة في خمود، والخضرة إلى سقوط، وتنقلب الروائح والألوان والطعوم يوماً بعد يوم.

ولغة الكاتب شاعرية موحية أحياناً، وعادية تتناسب مع السرد المباشر أحياناً أخرى. والتجربة جيدة، لأن الكاتب اختار لنفسه لوناً وأسلوباً، لا يقلد كاتباً بعينه، ولا يتقيد بلون معين.

٢ـ القصة الثانية «على هامش الحياة»: لا تخرج هذه القصة في موضوعها عن القصة السابقة، لأنها تصور جانباً من واقع الشباب الهارب من الحياة، لقد اختار الكاتب سهرة من سهرات العبث والضياع والثرثرة الفارغة، لينقل لنا صورة هذا الجانب ولكنه لم يبلغ في هذه القصة ما بلغه في غيرها، ولم يستطع أن يستوحي من أحداثها وهوامشها ما استطاعه في غيرها.

لقد عمد إلى الوصف المباشر (العادي) للسهرة، وكانت اللمحات الموفقة قليلة مثل حديث (أبي أحمد) عندما صور مشاعره (ص٤٦ـ٤٧) وكان في إمكان الكاتب أن يجعل من القصة شريحة يراها القارىء في كل مكان، مستغلاً حديث أبي أحمد مع زملائه، ولكن القصة لم ترق إلى هذا، بل كان النقاش بسيطاً، وساذجاً أحياناً، وكانت الخاتمة مفاجئة، لا تتفق مع المقدمات، وإن كانت لا تخرج عن الواقع.

٣ـ القصة الثالثة «عودة إلى الغيمة العذراء»: وهي تصور حياة الغرب: المرأة، والشباب، والأسرة الغربية، والعبث، والمادية، والحيوانية. ويصور التناقض، والمأساة التي يعيشها الطلاب الذين يذهبون للدراسة، واختار الكاتب حادثة واقعية وضح من خلالها ما

يحدث للشباب المسلمين الذين تشدهم ـ في بداية الطريق ـ أضواء الغرب وبهرجته، وتقدمه المادي، فإذا بهم يسقطون في الشِباك فيخسر الكثيرون أعمارهم، ويفقدون طهرهم وأخلاقهم، ويضيعون في الزحام والآثام.

ومن خلال الأحداث يعقد الكاتب مقارنة بين طهر الحياة وبساطتها في بلاد المسلمين، وعبث الحياة وعُقدها في بلاد الغرب.

وهي تنبه إلى خطر الابتعاث إلى الغرب، بلا ضرورة، الذي يشكل نزفاً للشباب والأخلاق، هذه الطاقة التي لا تعوّض.

كذلك تعطي القصة صورةً لعزيمة الشباب المسلم، ومقاومته للإغراء، ورفضه الانهزام أمام الخطيئة، وعودته إلى بلاده. وأسلوب القصة مزيج من الواقعية والتحليق الشاعري، فيه إيحاء وتصوير، كما فيه وصف مباشر، وألفاظه موحية، تعبر عن الحقيقة وتحمل طاقة من الرمز، الذي يبعد الأفق، ويفسح في دنيا التفكير.

٤ـ **القصة الرابعة «وتهاوى النصل اللامع»**: صورة للمرابي الجشع ولمجتمع الربا، حيث يتحول الإنسان إلى أنياب ومخالب، ومصاص للدماء، ويتخبط المجتمع في المآسي.

وفي القصة إيحاءات كثيرة وعميقة، ولا سيما حينما يذكر الصحابي الجليل أبا ذر الذي كان مثالاً للزهد والتقشف وإنكار الاكتناز، والانتصار للفقراء والمعدمين.

ويبرز في القصة، أثر القرآن في النفوس، وأثر التربية الإسلامية في الناس، وكذلك تصور في المقابل المجتمع الذي يعيش بعيداً عن الإسلام، وهَدْي شريعته الغراء، في الضغائن والأحقاد والجرائم، وهي تبرز مجتمع المادة، مجتمع الغربيين وأتباعهم حيث يحشر الناس والدواب والأشياء في سلاسل عدديه، ورموز صماء لينعدم من خلال ذلك كل معنى أو قيمة.

والقصة بأسلوبها وإيحاءاتها، قصيدة منثورة.

٥ـ **القصة الخامسة «بائع الصحف»**: صورة من تناقضات المجتمع ومشكلاته، عن طريق تصوير الكاتب لحياة أسرة فقيرة يموت فيها الأب، وتتحالف الأمراض والعوز، على هذه الأسرة، لتدفع بها إلى حياة مأساوية، لا يرى فيها الطفل الصغير غير اللجوء إلى بيع

الصحف لسد متطلبات الأسرة، ومداواة الأم التي تفتك بها الأمراض. وتبرز القصة صورتين متناقضتين: صورة الغني المترف الذي لا يدري أن في الحياة فقراً، حتى أنه يتقزز من الفقير البائس. وصورة الفقير المعدم ـ الذي يمثل الكثرة ـ حيث لا يعرف طعم الحياة، ولا صورة الراحة.

وتتداعى الأفكار، ويترك الكاتب النفس لتبوح بمكنوناتها، حتى تكتمل صورة المجتمع المتناقض الذي تتحكم به أهواء الناس، وقوانين المادة، ثم يموت الطفل تحت عجلات السيارة، لتكتمل المأساة. وفي هذه القصة عقد الكاتب مقارنات موفقة من خلال الأحداث، وأبرز صوراً موحية مستخدماً أموراً بسيطة، مثل رؤية الدجاج واللحم، وربطة العنق، والخاتم الثمين في الإصبع.

والقصة، حديث للنفس، وللفطرة، والطفولة التي تقف أمام الجشع والظلم والغطرسة، وغلظة الشعور وانعدام الرحمة.

وهي تشير إلى أسباب المآسي في المجتمع، بأسلوب مؤثر، أو بالإيحاء والرمز، لذا نرى الكاتب يردد هذه اللازمة:

«يا صاحب القرار. . . أسمعت بالرضيع يفطم من أجل الدينار. . .» مشيراً بذلك إلى قصة المرأة المسلمة التي اضطرت لفطم وليدها لكي تأخذ له نصيباً مما فرض في بيت المال، وكيف صنع عمر عندما علم بذلك حفاظاً على الطفولة، ومعالجة لحالة من حالات المجتمع. . حيث فرض للرضيع، كما فرض لغيره من الأطفال والكبار عطاء من بيت المال.

هكذا ينقل الكاتب قارئه من الواقع المعاصر، إلى الواقع الماضي، ليعرف السبيل إلى علاج مآسينا، ثم قال:

«لقد قرأناها حكاية تتلى وتقال عن سالف العصر والأوان، بأنك بادرت إلى قطع دابر العدوان على أطفال بلادك، فقدمت إليهم راتباً هدية يوم ميلادهم. . . ما بال العصور المنسية، يكون للعدل فيها ديار وخدام، وهذا العصر تهدم فيه ديار العدل والخدام».

وكأنه يشير إلى بيوت الضيافة والمنقطعين وعابري السبيل والمعوزين، التي كان لها

خدم وفيها طعام، ولها أوقاف وأموال.

بهذه الصورة الموحية يلفت الكاتب انتباه القارىء إلى عصور الإسلام الزاهرة، ويدفعنا إلى التماس العلاج من رسالة الإسلام.

لقد نجح الكاتب في قصته هذه، التي تنعدم فيها الأحداث المادية تقريباً، فلا أشخاص، ولا حوادث، وإنما هو حدث واحد (بؤرة) وشريحة، ولقطة واحدة، يتعمق فيها، يغوص في النفس والفكر، والتاريخ، يجوب بعيداً في أغوار النفس والمجتمع، وفي الحاضر والماضي، يمزج بين الظلمة والضياء، فإذا بالقصة مزيج من المشاعر والحركة النفسية، تسكت الأحداث الخارجية وتسكن الحركة المادية، بينما تضطرم حركة النفس، وحديثها، وحركة الوجدان. حتى تنتهي القصة، وفي عيوننا دموع، وفي حلوقنا غصة، وأمامنا وضوح من الواقع، والحقيقة..

٦ـ **القصة السادسة «قبيلة النجوم»**: وهي محاولة من الكاتب لكتابة القصة بأسلوب الشعر الحديث، أرادها كما يقول: «قصيدة في قصة تروي حوادث الدعوة الإسلامية في مصر» وهي لون جديد ينهجه الكاتب ضمن قصص المجموعة، وإن لم ينجح اليوم فربما ينجح غداً، وللكاتب أن يجرب ويجوب الآفاق، ويلتمس الوسائل، وهو في كل ذلك مجتهد ما دام يملك من فنه أسباب النجاح.

ومثل هذا الموضوع يحتاج إلى رواية طويلة تحكي قصة البعث الجديد للمسلمين، على يد داعية إمام مخلص، ولا تستطيع مقاطع من النثر الشاعري أن تشير إلى هذه الفترة التاريخية الحافلة... ولذلك لم أر في محاولة الكاتب إلا الرمز للبنا والإشارة إليه، أما بقية القصة فلم أر شيئاً يذكر.

٧ـ **القصة السابعة «وصفة دواء»**: إذا كانت عواطف الكاتب واضحة في هذه المجموعة، فهي في هذه القصة أكثر وضوحاً وتأثيراً، فهو منذ البداية منفعل مع الأحداث، متعاطف مع الأشياء البسيطة، يبدو ذلك في الكلمة، والتعبير، والصورة.

بطل القصة «صبحي» يضطر للسفر من ضاحيته إلى القدس لشراء الدواء لوالده المريض دون أن يأبه بالأخطار، وعلى لسان بطله، يقول هذه الكلمات الشاعرية:

«يا بلادي، يا جوهرة مسروقة، يا بلادي، يا أمناً ضائعاً يا بلادي، يا نبياً في قبضة قتله، يا بلادي، يا مكراً مكرته قلوب شيطانية، فوق الأهداب رسمت لك صورة صديق عبقت، في حضن القلب حجزت لك منزلاً ومقراً» ص١٠٧، وحين يتذكر الأرض يعبر عن ذلك فيقول: «أتذكر الأرض وبيتنا والحديقة، أتذكر التشرد والضياع، أتذكر الطفولة البائسة والأسمال البالية، والريح تزأر، وتقتلع الخيمة من فوق رؤوسنا، يا عدالة السماء!!».

فالقصة لحظة من لحظات المأساة في فلسطين: التشرد، والبطش، والفقر، وهتك الأعراض.

وبطل القصة يتعرض أثناء بحثه عن الدواء إلى امتحان عسير حين يسمع صرخات فتاة عربية مسلمة «النجدة.. النجدة يا مسلمين.. يا عرب»» فيغيب عن أنظاره كل شيء، ينسى الدواء، وأباه المريض، والمخاطر والبنادق المصوبة، وينقض على الجندي اللعين، فيشبعه ضرباً ويركل الثاني، ولكن رصاصة الغادر تصل إلى جبهته، فيسلم روحه بعد أن يكتب على الجدار بدمه: «دواؤك يا بلادي، يا عرضي، ويا مئذنتي.. الحار الساخن الأحمر».

فالقصة تضع المسلم بين مستويين من المؤثرات والعواطف:

العواطف الشخصية الذاتية: الأب والأم والأخوة والمصلحة.

العواطف الإسلامية العامة: تشمل العقيدة والأمة والمصير.. لقد كان نداء الفتاة رمزاً لنداء كل المقدسات والأعراض، واستجاب صبحي لنداء الأمة والعقيدة والمقدسات، وقضى شهيداً.

٨ـ **القصة الثامنة «رسالة إلى أطفال بلادي»**: وفيها يمزج الكاتب بين الحاضر والتراث، بين ما نحن فيه وما كان فيه أجدادنا، ويختار حادثة تاريخية لامرأة مسلمة تتبرع بضفيرتها للجهاد، وتدفع بولدها الوحيد للشهادة.

ويستفيد من هذه الحادثة ليرسم لنا ظلال الماضي، حين كان الإسلام هو المحرك الأول للمجتمع، وكان الأب والأم والولد، والحاكم والجندي كلهم يلتزمون بالإسلام، ويعرفون واجبهم لأنهم يحتكمون إلى شرع الله.

فالأم تربي صغيرها على الطاعة والعبادة والخلق النبيل لأن ذلك مسؤوليتها: «انهض يا ولـدي إلى الصلاة، ألا تعلم أنك بلغت السابعة من عمرك». ثم تعدُّه بذات الطريق للجهاد بعد أن امتلأ قلبه بالإيمان وتفتح ذهنه بالوعي: «أما الآن فلا وقت للدموع والذكرى، هيا بنا، فسوف أقدم للمعركة شيئاً، أرجو الله أن يجعل لي فيه أجراً، فهو كل ما أستطيع وأملك» ص١١٨.

وتقـول أيضاً: «إن الفرصة سانحة، واستجابة دعائك هذا مجال تحقيقها، فلا تدع الفرصة تفوتك، ولعل الله يبارك لنا في حياتنا وآخرتنا» ص١١٩.

ثم تكتب هذه المرأة المسلمة رسالة لقائد الجيش تقول فيها: «فقد دعوتنا إلى الجهاد، ولا مقدرة لي على القتال، وهذه الصرة فيها ضفيرتي، خذها قيداً لفرسك، لعل الله يكتب لي شيئاً من ثواب المجاهدين» ص١٢٠.

من خلال هذه الصور البسيطة ينقل صورة الماضي، صورة الرجال والأطفال والنساء، وهم يفهمون حقائق الحياة بلا تعقيد ولا فلسفة، ويمارسون الحياة ويصنعون المستقبل بلا قلق ولا أوهام.

وتمضي حوادث القصـة ليستشهد البطل الصغير، ابن المرأة المسلمة، فتفرح بهذه الكرامة ـ كرامة الشهادة التي رزقها الله لولدها ـ.

فهذه القصة تقدم للقارىء شريحة حية، ورؤية بسيطة واضحة للحياة الإسلامية.

٩ـ القصة التاسعة «الغيمة ذات الذؤابـات الحمر»: تبدو في هذه القصة موهبة الكاتب وقدرته على التصوير، والمزج بين الواقع والخيال، وبين الحلم والحقيقة.

سالم بطل القصة يدخل المعتقل مع إخوان له، ويرى هناك من وحشية الطغاة وزبانية السجن ما تقشعـر له الأبدان، وفاقت صور التعذيب، وألوان الإذلال للناس كل تصور، وتفوّق الجلادون على كل الوحوش في طرق نهشهم للأجساد، وتمزيق الفريسة، وانتهاك الأعراض والحرمات، حتى أصبح الإنسان أدنى قيمة من التراب، وأهون عند الجلادين من الحشرات.

وفي السجن يصور الكاتب انتفاخ الجلادين، وتكبّر الزبانية والعملاء، لأنهم وحدهم

يحملون السياط، ويستطيعون إطلاق الرصاص على المساجين وبدون سبب. وهم في حقيقتهم أذلاء جبناء.

ويصور الكاتب بطل القصة سالم وهو يرى كيف يعتدي أحد الجلادين على الزوجة أمام زوجها ليرغمها على الاعتراف بما لم تعرف، ولكن تنتهي هذه المأساة بموت الزوجين دفاعاً عن الشرف، ورفضاً للإذلال.

ويخرج سالم من السجن وهو يضمر الانتقام من النذل الذي كان يعذب ويعتدي على الأعراض، واستطاع أن يحقق أمله حين رآه في ضحى النهار، فقتله واحتز رأسه أمام الناس ليروا كيف يكون الانتقام من الجلادين الأنذال، وكيف يثأر الضحايا لأعراضهم من الظالمين.

والقصة قطعة أدبية حالمة، يستمد أحداثها من الواقع، ولكنه يمزج هذا الواقع بالآمال، والأحلام، ويقفز من الحاضر للمستقبل. ليرسم طريق الخلاص للناس من ظالميهم.

التصوير مؤثر، والصور متراكبة، وعواطف الكاتب تشحن الحروف والكلمات والأحداث لطريق الخلاص.

اختلطت الصور مع بعضها، وتمازجت الألوان والروائح والطعوم وتحركت الحياة في الجمادات والأشياء والأحياء حتى أصبحت كلها تحس وتفهم وتعي: «لليل عيون ولون. وجهك قوس قزح، وبروق ورعود، وهمس الريح، ووشوشات النجوم، وعيون المدينة تترقب. وقوافل الظنون تترى».

صور شتى، تختلط فيها الألوان والأضواء، والروائح والعواطف حتى ليكاد كل شيء من حول الكاتب يحيا مع الأحداث.

وهكذا يخرج الكاتب عن الإطار التقليدي، ليرسم أحداث القصة بأسلوب أدبي حي، لا يبعد عن الواقع، ولكنه لا يجمد أمام الأشياء.

١٠ـ **القصة العاشرة «وتحطم الطاووس»**: كثيراً ما تغيب معالم الأحداث وسط القصة، وتتحول إلى قطعة أدبية حالمة، ونشيد روحي يحلق فيه الكاتب بلا قيود... هذا ما

أحسست به في هذه القصة أيضاً، والتي ينقل فيها الكاتب صورة من صور الطغاة في أقبية التعذيب، حيث تموت البشرية، وتندثر خصائص الإنسانية وقيمها، ويسقط الجلادون إلى الحضيص، لأنه لا شيء يمت إلى الإنسان، حيث السياط والجراح، ونزف الموت، وأساليب الإذلال.

وهي أيضاً مثل القصة السابقة، يمزج فيها الكاتب بين الواقع والحلم، فالقصة لا تعدو أن تكون لقطة معبِّرة من الواقع، ومزيجاً من التصوير الموحي، والحديث النفسي، والوصف الواقعي. وتبرز في القصة موهبة الكاتب في الوصف، ولا سيما حين يخاطب وطنه قائلاً:

«يا وطناً بالعار لفُّوا إهابك، وبليل الآهات والجوع طحنوا عظامك، وعلى بوابات النهار المنهزم قدموا جثمانك مصلوباً، وانسلوا في الظلام» ص١٤٦.

ولكن القصاص ـ مثل كثير من الكُتّاب ـ أدخل بعض الكلمات التي أصبحت مصطلحات تحمل معاني محددة، ترتبط بعقائد منحرفة، وهي صليبية الروح، يهودية الفكر، وثنية المنبع، ومن هذه الكلمات لفظة (الصلب) والتي تُعدُّ عند النصارى رمزاً، وتستند إلى اعتقاد منحرف، ولكننا ـ وبأمر من الله ـ عز وجل، لا نقبل هذه الكلمات والمصطلحات، لأنها خاطئة ومنحرفة.

ومثل هذه الكلمات تشير إلى قضية مهمة من القضايا التي ينبغي أن ينتبه إليها الأدب الإسلامي، وهي قضية استخدام الأساليب الغربية، والمذاهب الأدبية المختلفة، والمصطلحات الفنية والأدبية والفكرية.

وعند الأديب المسلم كنوز وكنوز من عطاء أصيل، وصور متجددة، وإيحاءات كثيرة، وهو في غنى عن التسول في أزقة الآخرين المظلمة.

١١ـ **القصة الحادية عشرة «المستقبل والرصيد»**: موضوع القصة موضوع عادي، كثير الطروق:

منصور «أبو عزيز» وزوجته «أم عزيز» وابنهما الوحيد «عزيز» الذي يولد لهما بعد طول انتظار «عشر سنوات» يحاط بالرعاية ويلقى من والديه «الدلال» وفجأة تصدمه سيارة ويموت. هذه الصدمة العنيفة للوالدين اللذين كانا يجمعان له المال ويحلمان بمستقبله الباهر،

ويظنان أن أمر المستقبل بأيديهما، فهناك المال، والبيت، وكل ما يتمناه الابن السعيد، وينسيان أن هناك خالقاً مقدِّراً، وأن الغيب والأعمار بيد الله عز وجل. لذلك كان موت عزيز ـ وهـو يرمز لكل أمل عزيز عند الإنسان ـ صدمة لأبيه، قد توقظه على الحقيقة، وترده إلى الصواب، وقد تميته إذا كان عاجزاً واهماً.

ورغم أن الكاتب ـ كعادته ـ أراد تحليل ما يدور في نفس الأب والأُم، فإن الموضوع الذي يتردد كثيراً عند الناس، جعل القصة عادية، وكأن القارىء يحس بالنهاية منذ البداية، ويمكن اختصار القصة بهذه العبارة التي خاطب بها الموظف الصامت زميله أبا عزيز قائلاً: «هل تضمن بقاءه وحياته» وهذا ما كان يريده الكاتب من القصة.

١٢ـ القصـة الثـانية عشرة «المقاتل والهوية»: قصة فدائي فلسطيني، تدفعه نوازع متعددة لمقاتلة الأعداء، وكلها تجتمع في بؤرتين: الأولى تدفعه للقتال من أجل الأرض، والدار، والأُم والأب والعشيرة. والثانية: تدفعه للقتال في سبيل الله، وطرد أعداء الله من الأرض المقدسة.

ويقع البطل في حيرة يعبِّر عنها خليل قائلاً:

«ولكن ماذا. . . شكوك تحيرني، وتشوِّه صورة السعادة الغامرة التي يبعثها الأمل في لقاء الأرض. . .

أرض. . تراب. . . ثأر. . . لا. . لا. . ليس هذا الذي أبغي ولكن لماذا أشمئز من هذه الثلاثة؟ أليست هي الدوافع الحقيقية وراء حماسي. . شكوك، شكوك» ص١٧١.

ثم يعود البطل عند تنفيذ المهمة ليحدد الهدف فيقول لإخوته: «هيا يا إخوة. . هيا. . . إلى النعيم إلى الجنـة. . إلى الأُم. . . الأرض». وهنا نرى امتزاج الباعثين معاً: الجنة والنعيم، والأُم والأرض. . فما هو الدافع الحقيقي للفدائي الفلسطيني في هذه القصة؟

وهنا تبدو غلبة الدافع الأرضي على غيره عندما يصل إلى فلسطين فيقول البطل: «آه يا حبي الأبـدي. . . يا صنـو الـروح والحياة، ما أقسى الأيام التي فصلت بين محبين حميمين، لن يفصل بيننا بعد اليوم فاصل، ولن يبعدني عنك بعد اليوم حاقد أو مغتصب، سأبقى في أحضانك وإلى الأبد، جئت من أجل هذا ولن يعيقني عنه أي عائق، وليكن التاريخ شاهداً، وليكن البحر شاهداً، ولتكن السماء شاهدة، وسأوقع على ذلك بحبات

الدمع التي تبلل خدك الحنون قبل أن أوقعه ببصمات الدم تسيل رخيصة في أحضانك» ص١٧٧ـ١٧٨ .

هذه العاطفة نحو الأرض والوطن تبدو متأججة عند بطل القصة، يوضحها الكاتب بهذه العبارات، ولكن هل هذا هو الهدف الذي يسعى إليه مجاهد؟

وهل يتحدد هدف الجهاد والقتل بالأرض، والتراب، والذكريات؟

إن المسلم يجاهد في سبيل الله، يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فيحقق كل ما يتمنى: يحرر الأرض، ويطهر البلاد من الأعداء، ويحقق الاستقلال، فإذا مات ظفر بالشهادة، ونال الفردوس الأعلى، وإن انتصر حقق ما يريد مع رضوان الله عز وجل.

والكاتب حين يطرح هذه القضية يشير إلى واقع يملأ الساحة الفلسطينية وغيرها، فالفئات المختلفة تعلن في عملها الفدائي غايات وأهدافاً مختلفة، وتنسى أن هذه الأهداف تفقدهم روح الجهاد والفدائية، وتوقعهم في الفتن المختلفة، فتنة السلطة، والزعامة، والسيطرة، والشهرة والمال... إلخ.. لأن الميزان العادل، والخطى الواضحة تغيب في مثل هذه الأطر والأهداف. ولكن المسلم الذي يسعى لمرضاة الله، ويبتغي الشهادة، يترفع عن فتات الأرض، فلا ينازع ولا يخاصم، ولا يلتفت إلى ما يأخذ بألباب الناس في هذه الدنيا، لأن غاياته أبعد، وأهدافه أشمل. وكأن الكاتب يريد أن يقرر حقيقة واقعة وهي أن العمل الفدائي لن ينجح ما دام بعيداً عن الهدف الحقيقي، يتأرجح بين اليمين واليسار، وينأى عن المعنى الحقيقي للجهاد، ويرفع الرايات المختلفة. والمسلم هو الوطني المخلص، الذي لا يبيع وطنه بثمن، ولا ينسى واجبه بحال، لأن وطنه وطن العقيدة، وواجبه مرتبط بمصيره في الآخرة، فهو لا يخضع لضغوط هؤلاء أو أولئك، ولا يأخذ من هنا أو هناك، متحرر من كل ولاء لغير دينه وربه عز وجل. لا يرى الوطن تراباً ومأوى وذكريات فقط.. فتلك أمور تذهب وتجيء... وإنما هو العقيدة التي رسخت في الأرض، ونبتت مع كل شجرة، وتعمقت مع كل جذر... يقول بطل القصة بعد احتدام الصراع في نفسه: «تاريخ تاريخ، ماج بظلال المجد، واهتزت جنباته طرباً بأناشيد السماء، وتاهت أذياله بندى عطري من فوح رياحين الجنة، وتزينت ساحاته بعمائم نسجت بخيوط صنعت على عين الله» ص١٧٩ .

ثم يقترب البطل من التعرف إلى هدفه، فيسأل على لسان كل فلسطيني: «مَنْ أنت أيها الفدائي؟».

«أنا.. أنا.. أنا إنسان ضاعت هويته زمناً طويلاً، وبدأ يستعيدها الآن» ص١٧٩.

وانتهى الصراع عند الاهتداء إلى الهوية، ثم ارتفع الصوت الهادر عند تنفيذ العملية «الله أكبر» ونال البطل الشهادة بعد أن كتب وصيته لزوجته، قال فيها:

«زوجتي العزيزة، أرجو أن ينشأ جهاد على طاعة الله وحب الجهاد في سبيله، فلن يحرر الأرض إلا الأيدي المتوضئة»[1] ص١٨٢.

هذه القصة ذات دلالات مهمة: فيه تحليل، وتصوير، وشاعرية، وفيها يطرح المؤلف قضية مهمة، كنت أتمنى ولا زلت، أن يتناول هذه القضية بكل أبعادها وجوانبها في قصة طويلة، من خلال التاريخ الحديث للجهاد الفلسطيني، ومن خلال الصفحات المنسيات للشهداء الأبرار الذين طويت صفحاتهم عن عمد، وزيفت وقائع الأحداث على ربوع فلسطين لتبدو صفراء، أو زرقاء، أو حمراء... ليضيع الفدائي وسط الألوان، وتضيع القضية بين الشعارات.

وما زالت الهوية الحقيقية للمجاهد الفلسطيني غير واضحة، وهذه مسؤولية المفكرين والكُتّاب الإسلاميين، الذين يستطيعون توضيح الحقائق، وتصحيح المسار، حتى يرضوا الله أولاً، ويساهموا في تحرير الأرض المقدسة.

١٣ـ القصة الثالثة عشرة «ثورة الندم»: وهي القصة التي سميت المجموعة بها، وإذا كان كاتبنا قد جرب أساليب مختلفة في هذه المجموعة، فإنه في هذه القصة بالذات اختار أسلوب الرسالة لعرض الأحداث.

فبطل القصة «نصر» يكتب رسالة لصديقه «سامي» ومن خلال الرسالة نتعرف إلى أحداث القصة كاملة، فنرى ثلاثة أصدقاء فرقتهم الحياة بعد أن اتخذ كل واحد منهم طريقاً، فكأنهم يرمزون إلى أصناف من الشباب، لهم أساليب مختلفة وأفكار متباينة ولا سيما إزاء الاحتلال اليهودي لفلسطين.

---

(١) إشارة إلى قصة كتبها المرحوم مصطفى صادق الرافعي عن شباب الإخوان المسلمين، وهي منشورة في كتابه (وحي القلم).

الأول يرى أن الجهاد وبذل الدم، وقتال اليهود هو السبيل الوحيد للخلاص من المحتلين الأوغاد «كما فعل محمود في القصة».

والثاني يهرب من المشكلة كلها، ويلتمس الأعذار، ويبحث عن سبيل للرزق والكسب وجمع المال.

والثالث يغرق في ملذاته، ويرضى بالاحتلال الذي يوفر له ما يريد لتفاهاته ومباذله. وبطل القصة «نصر» من هذا الصنف.

وكأن الكاتب بهذه القصة يطرح واقع الشعب الفلسطيني، وموقفه من قضيته، رغم ما في هذا العرض من قسوة، ورغم التباين بين كل صنف وصنف من ناحية الموقف، والبواعث، والعدد أيضاً، لكنه الواقع الذي أراد أن يصوره مهما كانت قسوته ونفوره، وفي الوقت ذاته لم يترك الأحداث تنتهي بالقنوط والسقوط، بل نرى بطل القصة الذي ظل غارقاً في ملذاته إلى أن بلغ به الأمر خداع صديقه محمود، والوشاية به مما أدى إلى استشهاده مع مجموعته، لقاء متعة رخيصة ينالها «نصر» وهنا يستيقظ ضميره، ويصحو على واقعه الآسن، ويبحث عن سبيل للتوبة وتكفير الذنب، وهنا يصل إلى مركز المخابرات اليهودية فيفجره، ويفجر نفسه ليقتل أكبر عدد من ضباط العدو وجنوده بعد أن كتب رسالة لصديقه سامي يشرح له كل ما اقترفه بحق وطنه وأصدقائه، ويحدد شعاراً للجيل بهذه العبارة لكي يسير في طريق التحرير هي «إنه الله . . . والعودة» ص١٧٩.

١٤ـ القصة الرابعة عشرة «هوامش على رسائل الزمن المنسي»: وهي في أسلوبها وطريقتها تشبه القصة السابقة، إذ لجأ الكاتب إلى أسلوب الرسائل، وتسجيل الذكريات لتوضيح مشاعر الشاب المسلم ومواقفه إزاء الأحداث، ونحو العوائق والمحن التي تواجهه، في نفسه، وفي بيته، وفي مدرسته، وفي مجتمعه، حتى أصبح بإسلامه «كالقابض على جمرة من نار» ففي المقدمة يعبِّر الكاتب عن الطريق الذي رضيه المسلم لنفسه، طريق الدعوة إلى الله، والأخوة في العقيدة.

وفي الرسالة الأولى يعبِّر عن خوف الأب على ابنه الذي سار في طريق الدعوة، وجزعه من المحن التي يمكن أن يتعرض لها فيقدم له نصحاً ليكون على وعي وبصيرة: «فأيام الراحة لا تكفي دليلاً على قوة الرباط، وساعات السعة خادعة مخاتلة» ص١٩٩، فإذا كانت

العبارة توحي بالتشكيك في الرباط بين الشاب وإخوانه، وفي صدق الإخاء، فإنها ـ أيضاً ـ تضع يد هذا الشاب على الميزان الحقيقي لصدق الرباط، وصدق الإخاء، وصدق النية، وذلك عندما تأتي المحنة ويشتد البلاء.

وفي الهامش يناجي أو يخاطب أُمه مؤكداً إصراره على الطريق، وراجياً أن لا يكون أهله من عوائق الطريق.

وفي الرسالة الثانية استعطاف من الوالد، وتحذير لابنه من مفاجآت المستقبل، مع إثارة مشاعر الابن لكي يستجيب لرغبة أبيه، وفي الهامش يرد الابن على رغبة أبيه، فيناقشه بأسلوب المؤمن الواعي، وبهدوء وأدب، ويبين مدى حبه لأبيه، وحرصه على إسداء الخير له.

وفي الرسالة الثالثة تناشده أخته العودة عن هدفه وترك طريقه، وتستدر عطفه، وشفقته على أُسرته.

ويرد عليها مؤكداً ثباته، وموضحاً معنى اختياره لهذا الطريق، ويبادلها شعور الإخاء الصادق.

وتأتي المحنة على يد هؤلاء الذين لا هَمَّ لهم في الحياة إلّا الكيد للإسلام والمسلمين، هؤلاء الذين يعيشون بيننا «حشرات لا تعرف إلا الأذى، مهنتها الكيد، وشيمتها الغدر، أقدامهم تدب، وأيديهم تطرق، وعيونهم عيون فاجرات، أولئك فجار الليل» ص٢٠٥.

«يدخلون البيوت على النساء والأطفال، يبدون شجاعتهم ويستعرضون عضلاتهم، شهامتهم لا كالشهامات، ورجولتهم لا كالرجولات، إنها لا تظهر إلّا في البيوت وبين الأطفال والنساء..

ومتى؟ متى؟.. في الليل» ص ٢٠٥-٢٠٦.

ويضطر للهجرة وترك بيته وأُسرته ومرابع ذكرياته هجرة بلا وداع، وتركٌ للأهل والديار في دروب الخوف والملاحقات.

شريط من الذكريات والمخاوف والأفكار تتصارع في دماغه: الحزن، والخوف،

التفرق والمطاردة. . . الملجأ الجديد الذي يشعره بالغربة، ولكنه يقاوم كل هذا، ويصمم على مواصلة الطريق، والبحث عن السبيل الجديد لتحقيق ما يرضي الله عز وجل، لأنه يؤمن بأن نبتة الإسلام لها في كل دار وردة، أو زهور، وأن الذي يزرع لا بد أن يحصد، والله ناصر عباده المؤمنين.

هذه القصة بأسلوبها، وطريقتها طريفة، فيها مزج بين أسلوب الرسالة، وأسلوب الوعي الداخلي، وتداعي الأفكار والذكريات والخواطر، وهي تصور ـ حقاً ـ مشاهد الطريق، ومصاعب الطريق، ومحنة الداعية في هذا العصر.

١٥ـ القصة الخامسة عشرة «وجبة رفاقية»: هذه القصة الواقعية تعطي صورة عن أتباع ماركس وأمثالهم في بلادنا، ممن يتعبدون لروسيا، وينفذون أوامر السادة في بلاد الشيوعية، ويدّعون التقدمية ويضعون في طلعية أهدافهم محاربة الإسلام، والكيد للإسلاميين.

والقصة توضح حقيقة أفكارهم وشعاراتهم، التي يتخذون منها سُلّماً لمحاربة الدين، والأخلاق، ثم الانفلات للإفساد واستباحة المحرمات، والسير وراء الشهوات والملذات وهذا ما تحكيه هذه القصة بلسان أحدهم الذي يرتكب الفواحش، ويسرق، ويغش، ويخدع حتى يحوز على أكبر نصيب من الدنيا.

١٦ـ القصة السادسة عشرة «قرار صعب»: أما القصة الأخيرة فهي صورة عن مأساة المسلمين على يد الحكام الطغاة، الذين أعمتهم ضلالاتهم، وعقائدهم الفاسدة فرأوا أن أكبر خطرٍ عليهم وجود الشباب المسلم الواعي، وانتشار الصحوة الإسلامية، فراحوا يطاردون الإسلاميين، وينفذون مخططات يهود، والصليبيين، فيطاردون، ويعتقلون، ويقتلون.

وفي القصة واحد من هؤلاء الشباب الذي يُعتقل بلا سبب لأنه يصلي، لم يكن مرتبطاً بجماعة، ولا رابطة تجمعه بأحد إلا المسجد، ومع ذلك يودع السجن، ويخضع للتعذيب ليرى كيف يفعل الجلادون، وكيف يعذَّب الصالحون.

وخرج من السجن وفي نفسه صراع محتدم «ما بال هؤلاء يهاجموننا ونحن في الصلاة» ص٢٢٨.

«هل تقولون: إنهم يلغون الإسلام من الشوارع والبيوت؟ اللهم اشهد، فإني عانيت ذلك بعينيَّ هاتين، شاهدت وقرأت قرارات الإلغاء ملصقة على عورات النساء الكاسيات على أبواب المساجد المغلقة... على كتب المناهج للأطفال البراعم» ص٢٣٠.

والقصة تصوّر الواقع الذي يعيشه المسلمون: يهاجم الإسلام ويلغى من المناهج، وأجهزة التوجيه والإعلام بتخطيط محكم، وبإشاعة الفساد، وبإجبار الناس على العري والتكشف وإجبار الشبيبة على اقتراف الزنا وشرب الخمور، وبإغلاق المساجد وتحويلها إلى أماكن للطقوس والاحتفالات في مواسم ومناسبات.

وهذا ما دفع الشباب للموت في سبيل الله، دفاعاً عن عقيدتهم، وصوناً لحرمات المسلمين، وحرصاً على إبقاء الإسلام في بلد الإسلام، وقياماً بأمر الله في حمل أمانة الدعوة، والحفاظ على هذا الدين من عبث الماديين، وتلامذة يهود الذين يريدون صبغه بأخلاق يهود، وأفكار ماركس، أو غيره.

يحكي لنا بطل القصة كيف كان صديقه عبدالعزيز صادقاً مع ربه، وكيف ترك كثيراً من المغريات ليدافع عن عقيدته، ترك الجامعة، واشترك مع المجاهدين حتى انتهى إلى الشهادة، بعد أن سطّر آيات البطولة لإعلاء كلمة الله.

ويلخص الكاتب صورة الحياة في البلد الإسلامي إذا غاب حملة الدعوة، الشباب الأطهار من المجتمع:

«كرامة: ... هه... أين هي؟ لقد ضاعت معانيها في قواميس النفوس أسيرة الأرض والطين. حرية: ... هه... تحللت معانيها وذابت في سياط الجلادين والقتلة.

إنسانية: ... هه... لم يعد لهذه الكلمة وجود في الشارع لعلك تجدها في الزنزانات والأقبية.. تهبط أجنحة الخيال إلى الشارع، إلى الحقيقة المرة.. الكل يغيّر، الواحد يغير، الجموع تغير، هذه السرعة... إلى أين؟ أسرتكُمُ اللقمة يا مواطنيّ» ص٢٣٤.

فالقصة تصوّر واقع الحياة في بلدان المسلمين: يصبح الشارع صورة للخروج عن شرع الله، والمجاهرة بالمعصية، واختفاء كل طيب بعدما زج الحاكمون بآلاف الرجال والنساء الصالحين في السجون لأنهم مسلمون وقتلوا آلاف الشباب والرجال الأنقياء، الذين

يمثلون طليعة بلدهم في العلم والحضارة لأنهم صالحون.

وشردوا مئات الآلاف لتمسكهم بهذا الدين، وحرصهم على القيم والأخلاق.

هذه الصور الواضحة لمحاربة الإسلام سراً وعلناً، وإعلان الفجور في كل مرفق وموطن، ومطاردة القيم، وإشاعة الفساد والتضييق على الناس ليكونوا عبيد اللقمة وأسراء الطغاة أذلاء مستعبدين.

هذه الصورة جديرة بأن تجعل الناس، كل الناس في البلد يفكرون ويتساءلون «كل يغير على دنياه... يبحث عن مصالحه... ألا يعنيهم أمر هذا الوطن كما يعني أولئك؟» ص٢٢٧.

ألا تتحرك عند هؤلاء النخوة والغيرة على الأخلاق والأعراض؟ ألا يهمهم ضياع خيرات الوطن، والتضييق على المواطنين في الأرزاق؟ أسئلة كثيرة تثيرها هذه القصة، وقضية مصير هذا الوطن تطرحها أمام كل مواطن يرى هذه المأساة التي لا تزال دماء قتلاها ندية في كل حي، ودموع اليتامى في كل بيت من المدن والأرياف، في عدد من بلاد المسلمين....

وبعد، فإن هذه المجموعة تتميز ببعض الخصائص التي يمكن استخلاصها من هذا الاستعراض نجملها فيما يلي:

١ـ إن أكثر هذه القصص تصور الواقع الذي يعيشه المسلم في هذا العصر وتعالج بعض المشكلات التي يواجهها، فهي إما تتعلق بقضايا الفرد المسلم، أو النفس الإنسانية المفطورة على الإسلام إزاء ما يشغلها أو يثور داخلها من وساوس ومخاوف، أو تتعلق بالأسرة التي تنظر وتشارك في الأحداث والتغييرات على مستوى الفكر والمجتمع والدولة والعالم، وتقف منها مواقف متباينة، لمواجهتها المتناقضات التي يعيشها المجتمع، أو الأحداث التي تنزل بالأمة، أو الأفكار التي تتصارع، أو غير ذلك، أو تتعلق بالسلطات الحاكمة، وطريقة تعاملها مع أبناء الشعب.. أو تتعلق بالشعب الذي يعاني من المآسي والويلات، وعدم الطمأنينة وعدم الشعور بالأمن، والتعرض للملاحقات، والعيش في فقر، وكل هذا باسم الوطن والحرية والعدالة، والشعارات التي ترفع علامة على قضايا الأمة وأهدافها.

وهذه القصص تضع بين يدي القارئ نماذج وشرائح من حياة الناس المسلمين، هنا،

أو هناك، أو هنالك.. وتومئ أحياناً إلى سبل الخلاص مما يعانونه من آلام ومشكلات واضطهاد.

٢ـ وفي بعض هذه القصص تناول الكاتب قضايا مهمة وكبيرة مثل: قضية الأرض المحتلة «فلسطين» والجهاد في سبيل تحريرها من يهود كما في «ثورة الندم»، و«المقاتل والهوية»، و«وصفة دواء».

أو قضية الحكم والجور والطغيان والحرية والكرامة الإنسانية، وموقف السلطة من الدعوة الإسلامية «قبيلة النجوم»، و«هوامش على متن الهواء»، و«الغيمة ذات الذؤابات الحمر»، و«تحطم الطاووس»، و«قرار صعب» وهذه القضايا في نظري تحتاج إلى مساحات أكبر، ورؤية أشمل وأعمق لتأتي المعالجة أكثر دقة وتكاملاً، ولتكون الطريقة أكثر طرافة وتأثيراً أيضاً.

٣ـ وهذه القصص تعبر عن رؤية إسلامية أدبية للمشكلات التي طرحها الكاتب، وهي بالتالي تجربة من تجارب الأدب الإسلامي وخطوة من خطوات القصة الإسلامية المعاصرة، وهي تتصدى للوقائع والواقع، وتسجل الأحداث، وتطرح المسائل المختلفة من خلال تجارب مختلفة عاشها الكاتب، أو سمعها، أو عرفها بصورة من الصور، ولهذا فهي جديرة بالتقدير والتعريف، مهما كانت درجة هذه القصص من النجاح والتوفيق، أو التعثر والتقصير. وحري بالمهتمين بالأدب الإسلامي إعطاء التجارب الأدبية من القصص، والشعر والمسرح، والمقالات وغيرها. حقها من الدراسة والنقد، لتعميق هذا التيار وتأصيله، ولاستخلاص الأطر الفنية، والمسارات الأدبية التي يرسمها الأدباء أنفسهم، على ضوء التجربة والواقع، وهذا ـ في نظري ـ أجدى من التنظير الخيالي المرتبط بمعطيات النقد الغربي أو الشرقي، ومواضعات المذاهب المختلفة التي تعارض الإسلام ابتداءً.

٤ـ وكاتبنا في هذه المجموعة يحفل بأمور عديدة، وتبدو لي واضحة في هذه المجموعة من قصصه ومنها:

- يحاول تحديد الإطار المكاني للقصة، ووصف الأرض التي تجري عليها الأحداث، ودائماً تكون مشابهة للواقع.
- الاحتفال بالطبيعة، وتوشية الأحداث بإطار طبيعي ملائم لها، منسجم مع الأجواء النفسية

التي تخيم عليها، ومتناغم مع عواطف الشخصيات «هوامش على متن الهواء»، و«وصفة دواء».

- استعارة التعابير الدالة على الطبيعة لوصف الأشياء وتصوير المشاعر والناس.
- الاهتمام بجانب التصوير، وقد يضطر أحياناً لإيقاف حركة الأحداث من أجل الإمعان في صورة طريفة أو رسم جوانبها المختلفة «بائع الصحف»، «الغيمة ذات الذؤابات الحمر».
- الميل إلى طريقة تداعي الأفكار، والاستسلام إلى شريط الصور والذكريات «المنولوج الداخلي» وكان ذلك كثيراً في هذه القصص.
- تدبيج الصور بشتى الألوان، واختلاط المشمومات والمسموعات والمرئيات والألوان والطبيعة والناس والجمادات والأحياء.. وهكذا.
- استخدام بعض الأسماء التاريخية أو غيرها كرموز ذات دلالات خاصة تساعد في إلقاء الظلال على الأحداث.

٥ـ وواضح في هذه القصص احتفال الكاتب بالأسلوب الأدبي، وتحليقه في كثير من الأحيان في دنياوات الصور والخيال والشاعرية الشفافة، حتى ليضطر إلى الخروج عن أسلوب القصة إلى أسلوب الشعر، ومن انسياب الحوادث إلى الغوص وراء مكنونات النفس، والانفعالات إزاء الأحداث.

وهذه ميزة جيدة إذا كان الكاتب قادراً على التصوير والتحليق مع المحافظة على حركة الأحداث، وعلى تناميها، حتى لا يخرج عن مسار القصة ليجبر القارىء على الإصغاء لأغنية النفس الشفافة، أو سماع قطعة أدبية في الوصف، أوالتركيز لإدراك أطراف الصورة التي يود أن يرسمها، أو الصبر على بعض التحليلات التي تحتاج إلى كد الذهن. فإذا استطاع الكاتب المحافظة على التوازن بين مقتضيات القصة وترابط الأحداث وحركتها، وبين الوصف والتصوير الذي يوشي الأحداث، فإنه ـ حينها ـ يضفي على القصة عنصراً جديداً من عناصر النجاح.

٦ـ والملاحظ في هذه القصص ـ أحياناً ـ بعض الغموض، وهذا ناتج من كلف الكاتب بالتحليل النفسي، أو الوصف، أو التخيل، الذي يؤثر على تتابع الأحداث ويفقدها

ترابطها، حتى تصبح مفككة غير منسجمة.

والكاتب يملك الموهبة التي تساعده على كتابة القصة الناجحة، ولديه الطاقة الشعورية والفكرية التي تمد من آفاق تجربته، ولكنه ـ أيضاً ـ يحتاج إلى ممارسات مستمرة، ودربة متواصلة، ومتابعة دائمة للقصة حتى تصبح أدوات القصة أكثر طواعية ونضوجاً بين يديه.

٧ـ وكم أتمنى أن يمارس الكاتب تصوير الأحداث وطرح القضايا في روايات طويلة، فربما كانت أكثر ملائمة لأسلوبه وطريقته من القصة القصيرة التي تحتاج إلى التركيز والدقة والحرص على استخدام عناصر القصة بإحكام.

والمـوضوعات كثيرة وعديدة، وتاريخنا الماضي، وأحداث الحاضر كل ذلك مليء بالقضايا والموضوعات والتجارب التي بقيت مطموسة، أو عرضت بطريقة مزورة ومشوهة.

واليوم أضحت كثير من الحقـائق واضحة، وانتهت تجارب الدعوات المستوردة إلى الخيبة والدمار الذي تعاني منه الشعوب، ولكن ذلك بقي أحاديث وذكريات، ولم تُخرج لنا هذه الأحداث والتجارب في أعمال أدبية ناجحة تتناول حقباً، وزوايا من تاريخ هذه الأمة أو واقعها.

إن قضية فلسطين وحدها، أو ما يماثلها من قضايا تمد القصاص المسلم بمئات من الصور والأحداث، وتضع بين يديه أعداداً من الموضوعات التي لا تحصى على مستوى الأشخاص، والأفكار، والأحداث. وهي بحاجة إلى المواهب التي تتعمق في دراستها، وتعرف كيف تخرجها للناس صوراً أدبية تحفر في أعماقهم، وتشد أنظارهم وألبابهم حتى تكون ذات أثر في المستقبل المنشود.

فهل يستطيع كاتبنا أن يكون من هؤلاء الذين سيحملون هذا العبء إزاء هذا التراث الذي ننتظره؟

إن يقيني بأنه يملك الموهبة التي تؤهله لحمل هذا العبء مع غيره من الموهوبين ولكنه بحاجة إلى الجد في الطريق، والاستمرار في التجربة.

وأخيراً، فإن التجربة هي التي تصقل الموهبة، واستمرار العطاء من الكاتب هو الذي

يؤصل منهجه، ويقوِّم أسلوبه وطريقته.

وليست كلماتنا إلا إضاءات على الطريق، ولكن تبقى الخطوات الحقيقية رهينة بممارسة الكاتب ذاته، الذي يحمل الأمانة في هذا العصر الشائك ولا أريد أن تكون هذه الكلمات ثناءً، وكما أنها ليست نقداً بالمعنى المعروف، وإنما هي خواطر وملاحظات عساها أن تكون مساهمة نافعة في طريق الأدب الإسلامي.